الخطبة الثانية والثمانون
الولاء والبراء - القدس لنا والأقصى لنا (بإذن الله)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ومن تبعه إلى يوم القيامة، أما بعد: من أنا ومن أنت؟ وإلى من ننتسب؟ ولاؤنا لمن؟ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: 5/ 55]. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾، إنما أداة حصر وقصر، أي أنه لا ولاء إلا لله، وليس لكم ولي إلا الله ورسوله والذين آمنوا.

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: 9/ 71].

قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾. لم يقل هذا سوري ولا هندي أو ... أو ... المؤمنون أيًا كانوا وأينما ذهبوا وحلوا وبغض النظر عن عرقهم ولونهم وعملهم وكونهم، الفاصل هو الإيمان والعقيدة الصحيحة، هؤلاء المؤمنون بعضهم أولياء بعض، والبراءة الكاملة والتخلي الكامل عن كل ما سوى المؤمنين. القضية واضحة وضوح الشمس في القرآن وفي الاستخدامات اللغوية أدوات الحصر والقصر واضحة لمن يفهمها، الولاء لله ورسوله والمؤمنين، والبراء مما عدا ذلك. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة: 5/ 57].

أين نحن اليوم من هذا؟ هل نتألم مما يجري في القدس؟ أخذوا الأقصى ومنعوا الصلاة فيه، حاصروا غزة وجوعوا أهلها ومنعوا عنها كل شيء، هل نتألم؟ هل نصرخ؟ هل ندعوا لهم قلبًا ولسانًا؟ هل تدمع أعيننا لما يجري؟!! مليون شخص من المسلمين هُجِّروا من بورما، هل حَزنّا؟ هل تألمنا؟

المسلمون يُقتّلون ويُشرّدون في كشمير، ماذا فعلنا لهم؟ هل طبقنا الآية الكريمة: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾؟

هذا سبب هزيمتنا؛ أننا تركنا الولاء لله ورسوله وللمؤمنين، والبراء من الكفرة الفجرة، وهذه مصيبتنا اليوم، ولو رجعنا إلى الوراء لرأينا سبب نصر المؤمنين وهم قِلَّة، هذا عبادة بن الصامت رضي الله عنه يأتي إلى رسول الله ﷺ ويقول: «يا رسول الله إني لي موالي من يهود، كثيرٌ سلاحُهم، قويةٌ أنفسهم، شديدةٌ شوكتهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود، وأتولى الله ورسوله والمؤمنين».

وهذا كعب بن مالك رضي الله عنه يوم هَجَرَهُ المسلمون بأمر النبي ﷺ لتخلُّفه عن غزوة تبوك، وضاقت عليه الأرض وصار وحيداً منعزلاً منكسراً، بعد جَاهٍ وعزّةٍ ومَنَعَة، صارت الوجوه جامدة عابسة، تغيرت الأرض والدنيا عليه، لا يكلمه أحد ولا يعامله أحد، حتى زوجته وجيرانه وأصدقاؤه، والأهم من ذلك كله رسوله وحبيبه ونبيه لا يكلمه! جاءه كتاب من ملك غسان برسالة ملكية مختومة ... أنه قد بلغنا أن صاحبك جفاك فالْحَقْ بنا نواسِك. لم يقل له: اُكفر، لم يقل له: اُترك دينك، لم يساومه على دينه ومعتقده، وإنما المساومة على الولاية، المساومة على من، وإلى من أنتسب، حبي لمن، قلبي مع من، أبكي لمن، أفرح لمن، أدعو لمن؟ لله ولرسوله وللمؤمنين. فيحرق الرسالة ويأتي إلى الرسول ﷺ باكيًا شاكيًا: يا رسول الله ﷺ بلغ بي أن طمع بي رجل كافر.

لقد كان هذا المبدأ ناصعًا واضحًا وضوح الشمس، ليس للكبار وليس للعقلاء وليس وليس... ولكن كان كالحليب للرضيع، وهذا عُمَيْر بن سعد، صبي قيل: إنه في حدود العاشرة من عمره، في حضن زوج أمه، يربيه ويرعاه ويحبه جداً، وهو الجُلاسُ بن سويد، كان من المنافقين ولا يُظهر نفاقه، وكان يرعى عميراً ويحبه ويعتني به وعمير يحبه ويقدره ويحفظ له ودَّه، ورجع عمير يومًا من عند رسول الله ﷺ وهو فرح مسرور بما يتعلم من رسول الله ﷺ،

وقص على الجُلاس وأمه ما سمعه من الرسول عن الجنة والآخرة وما بهما، ولكن الجلَّاس لم يستطع أن يخفي نفاقه خاصة وأنه مع زوجته وابن زوجته الصغير الذي قد لا يعي ولا يفهم مقصده، فقال: لئن كان ما يقوله محمد ﷺ حق فنحن شر من الحُمُر التي نركبها. لكن الإيمان في قلب الصغير، والولاء الذي رضعه، وحب الله ورسوله والمؤمنين، وفهمه الواضح للولاء وأنه معقل الإيمان وثمرته وأساسه، نطق بهذه الكلمات التي يعجز عنها اليوم من يَدّعُون أنهم من أكابر القوم. فقال: أما إنك لأحبّ الناس إلي، وأحسنهم عندي بلاء، وأعزّهُم عندي أن يصل إليك شيءٌ نكرهه، ولكنك قلت مقالة إن أنا ذكرتُها فضحتني، وإن أنا كتمتها أهلكتني، ولَإحداهما أهون علي من الأخرى، فأيتهما التي هي أهون؟ عليه الفضيحة أم الهلكة؟ الفضيحة؛ لأن الجُلاس سوف يُكذّب هذا الصغير، والجُلاس ذو مكانة، وقد ينتقم الجُلاس من أمه، وقد يعاديه ويسيء إليه لأنه أي عميراً يتربى في منزله ويأكل من خيراته، أما الهلكة، فانظر إلى الوعي والفهم الصحيح لهذا الصغير، اعتبرها هلكة لأنها خيانة لله ولرسوله والمؤمنين، خيانة فيها هلكته في الدنيا والآخرة وهذه لا مهادنة فيها، لذلك كانت الفضيحة أهون عليه، فذهب إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما قال الجُلاس، وحصل ما كان في الحسبان، فاستدعى رسول الله ﷺ الجُلاس، وسأله عن مقالة عمير بن سعد، فأنكر الجُلاس، وحلف أنه لم يقل ذلك، ونظر النبي ﷺ إلى عمير ونظر الناس إلى عمير نظرة عتاب، أتكذب على الذي يربيك ويطعمك ويحسن إليك؟ أهذا هو ردّ الجميل؟! وينظر عمير حوله ولا يملك إلا البكاء، ولكن الله سبحانه يعلم صِدْقه ويعلم إيمانه ويعلم ولاءه، والله سبحانه وتعالى لن يتركه ولن يتخلى عنه وحاشى لله وكلا، لأن القاعدة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: 45/ 19]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النساء: 4/ 45]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: 5/ 55].

فنزل جبريل عليه السلام بقرآن يتلى إلى يوم القيامة نصرة لهذا الصغير، ونصرة لمن يوالي الله ورسوله وكانت الآيات: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [التوبة: 9/ 74].

فارتعد الجلاس وخاف وقال عن عمير: إنه قال وصدق، وأن الله قد عرض علي التوبة وإني أتوب الآن، وكان الجلاس بعدها ينظر إلى عمير ويقول: هذا الذي أنقذني من النار.

اصدق مع الله يصدقك، انصر الله ينصرك، إن قضية الولاء واجبة فرض محتم، لكن القضية مُيّعت في أذهان الناس فنزلت درجتها من الواجب المحتم إلى المستحب، ثم مُيّعت وهُمِّشت فنزلت من درجة المستحب إلى درجة المباح، ثم مُيّعت؛ لأن أعداء الله والإسلام يرونها نقطة قوة ونقطة يلتحم بها المسلمون ونقطة تجمع، لا بد من حل لهذه العقدة، عُقْدة الولاء من أقوى العُقد، أنا أنصر من يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وليس بيني وبينه وطن ولا عرق ولا ثقافة ولا مصاهرة ولا نسب ولا يمت إليَّ بأي صلة، إلا صلة العقيدة والإيمان فهو أخي وحبيبي وهو مني وأنا منه، أدافع عنه وأنصره وأقف إلى جانبه عرف هذا أعداء الله فأرادوا حلّها إلى الأبد، فحاربوها وميّعوها، ونجحوا في إنزالها من الواجب إلى المستحب إلى المباح، واليوم يحاربونها أيضاً بشراسة لم يشهد التاريخ مثلها، فصار الولاء اليوم تهمة يُحاسب عليها الإنسان، وصارت إرهاباً وصارت جريمة يسجن بها الإنسان ويُغرّم، ثم حاربوها أيضاً ولم يكتفوا بذلك بل جندوا لمحاربتها أبناء جلدتنا ومن قومنا وممن يتكلم بلساننا واشتروهم بالرخيص، والله اشتروهم بدراهم معدودة، لكي يبيعوا دينهم وعقيدتهم وولاءهم لله ولرسوله وللمؤمنين، باعوا أوطانهم وأعراضهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وإليك القول الفصل والحكم الفصل: قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [النساء: 5/ 81].

إذا طالبنا بالقدس، إذا نصرنا الأقصى فنحن متهمون بالتطرف والإرهاب ومعاداة السامية ونشر الفوضى، إذا رفعنا شكوانا لنصرة إخواننا في غزة وفي القدس وفي كشمير وفي بورما وفي سوريا، جاءنا الجواب هذه قضايا داخلية، ولإسرائيل الحق في الحفاظ على أمنها وسلامتها واستقلالها، وقدسنا وأقصانا، وبلادنا، وأرضنا وترابنا وأبناءنا وكل ما لنا ليس لنا الحق فيه. فإنا لله وإنا إليه راجعون. إن الحرب شرسة ونحن نائمون، أعداؤنا يخططون ويدرسون ويعملون وينفذون ويلعبون بعقولنا وعقول أجيالنا، غيّروا المسمّيات حتى يلتبس علينا الأمر، لعبة طويلة الأمد، غيروا كلمة الربا والتي هي حرام محض يخاف منها المؤمنون، إلى كلمة: الفائدة، فائدة لها طنَّة في القلب، وغيروا كلمة الخمر إلى: مشروبات روحية، وغيروا الحرب بين الصليبيين والمسلمين إلى: استعمار، وإنما هو استخراب، وأبدلوا كلمة المسلمين إلى: عرب، وغيروا كلمة عرب إلى: شرق أوسط، وكلمة مسلمين الآن تقسم إلى: أصوليين متطرفين إرهابيين. إن عقيدة الولاء والبراء تستلزم ما يلي:

1. الاعتقاد الصحيح والفهم الصحيح لكلمة: (لا إله إلا الله محمد رسول الله).
2. التمسك بها والدعوة إليها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: 41/ 33].
3. الإخلاص لها واحتساب الأجر عند الله.
4. مناصرة وولاء لمن يؤمن بها ويدعو لها، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 9/ 71]، والحب الخالص لإخواننا في الله.
5. بذل الغالي والرخيص من أجلها ومن أجل إخواننا كل بحسبه وكل بمقدوره ومقدراته، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ [البقرة: 2/ 286]، وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 8/ 60].
6. تعليم الأبناء ومن حولك العقيدة الصحيحة، وخاصة عقيدة الولاء والبراء، وجعلها حديث الساعة وحديث المجتمعات، وأنها العقدة الفاصلة التي يجب أن نعيدها إلى ما كانت عليه لأنها سبب فلاحنا ونجاحنا، قال تعالى:

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون: 23/ 52]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: 8/ 46].

7. الدعاء والالتجاء إلى الله بنصرة إخواننا ... في غزوة بدر أُسِر المشركون، فقال ﷺ: «استوصوا بالأسارى خيراً» وكان الأنصاري أبو اليَسَر قد أسر أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير، فلما مرّ مصعب بأبي اليَسر الأنصاري قال له: شد يدك به فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك، فقال أبو عزيز لأخيه مصعب: يا أخي أهذه وصايتك بي؟ فقال مصعب: إنه أخي دونك؛ أي: الأنصاري هو الأخ الحقيقي. أرأيت إلى هذا الولاء، إنها أخوة الدين أقوى من أي أخوة لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 49/ 10].

والأحاديث كثيرة في أخوّة الدين وكلنا نعلمها ويا ليتنا نطبقها ونعمل بها، ولقد جاءني مقطع مرئي (فيديو) فيه: أن أمّاً فلسطينية تدفن ابنها وهي تضعه في التابوت، بعد أن كفنوه، وتقول له -بدون دموع أوبكاء، وبدون صراخ-: أستودعك الله يا بني، أرجو الله تعالى أن يتقبل منك ويرحمك، أرجو الله أن تكون شهيداً من الشهداء عند الله، أرجو الله أن يقبلك يا بني. ورددت كلمة: (يمّا)، وهي كلمة نداء تقولها الأم لولدها بالعاميّة: (يمّا الله يقبلك ويغفر لك، يمّا أستودعك الله) وأنا أرى هذا الفيديو وأقول في نفسي: لم لا تبكي هذه الأم على ولدها؟! لماذا لا تصرخ كما يفعل بقية النساء والأمهات؟! وأعدت مشاهدة الفيديو مراراً وكان ابنها ممن قُتل على أبواب الأقصى وهم يحاولون دخوله وكسر الحصار، وبعد مشاهدة الفيديو لعدة مرات أيقنت أن ولاء هذه الأم للا إله إلا الله محمد رسول الله، ولاؤها للأقصى، ولاؤها لمسجد المسلمين، ولاؤها لمقدسات المسلمين، ولاؤها للمسلمين الذين يقفون على باب الأقصى في كل زمان، هذا الولاء هو أقوى من الأمومة، وهو أقوى من أي رابطة، لأن رابطة العقيدة أقوى من أي رابطة. ورابطة الولاء والبراء أقوى من أي رابطة بشرية،

لأنها رابطة مع الله تعالى، إنها أحلى وألذ وأقوى وأنجح رابطة أن يكون الله معي وأن يكون الله ناصري ومولاي ومعيني، وما أجملها عندما أسمع وأقرأ قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: 2/ 257]. اللهم اجعلني ممن يشملهم هذا القول، أنا وإخواني في مشارق الأرض ومغاربها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه